عبد الغني خماس

ابو العلاء المعري

مكتبة النهضة - بغداد



ابو العلاء المعري

عبد الغني خماس

مكتبة النهضة - بغداد

الطبعة الاولى ـ بغداد ١٩٨٨

ابو العلاء المعري

شاعرا . . . وناقدا

توطئة :

من المعروف ان بني حمدان كانوا يهيمنون على سوريا وكانت حلب حاضرة ملكهم اذ كانت تعج بالشعراء والادباء وكان من اولئكم الشعراء ابو الطيب المتنبي الذي كثيرا ماتغنى بانتصارات سيف الدولة ضد هجمات الروم المتتالية على الاراضي السورية .

لقد كانت سوريا وخصوصا حلب قوية حصينة منيعة ايام سيف الدولة الحمداني .

توفي هذا البطل فخلفه ابو المعالي ثم ولده الثاني ابو الفضائل اللذين لم يكونا من القوة والأرادة ماكان عليه ابوهما لذا فقد توجهت نحو حلب الأطماع وراحت الدول المجاورة تستعد للانقضاض على هذه الامارة التي ضعفت بعد قوة وهانت بعد بأس وشدة .

وكانت اهم الجماعات الطامعة في حلب هي :

١ـ الفاطميون : الذين استقر حكمهم في مصر وراحوا يتطلعون الى ضم الشام وخاصة حلب الى سلطانهم فكانوا يكثرون من الدسائس ويرسلون الجيوش طمعا في ضم هذه الامارة الى ممتلكاتهم .

٢ـ القبائل البدوية المجاوره وخاصة بنو مرداس» الذين كان لهم النصيب الا وفر في نشر الاضطراب السياسي في بلاد الشام وحلب خاصة .

٣ـ الروم الذين بدأوا المناورات والمراوغات بعد ان بدلوا اساليبهم القديمة التي كانوا يستعملونها في حروبهم مع سيف الدولة .

لقد راى هؤلاء ان مجابهة المسلمين وجها لوجه قد يكلفهم الكثير فلجأوا الى طريقة «فرق تسد» فراحوا يحرضون امارة ضد اخرى وينصرون فئة على فئة ثانية ليزداد التطاحن بين المسلمين ولتتسع الهوة بين دويلاتهم المتهاوية تماما كما فعل الاسبان مع ملوك الطوائف في الاندلس.
فعندما هاجم الفاطميون حلبا وحاصروها استنجد اميرها ابو الفضائل بالروم فانجدوه.
وقد صور المعري هذه المأسي في شعره ونبه المسلمين الي ماسوف يحصدونه من فشل وخيبة اذاهم ظلوا يستعينون باعدائهم على انفسهم.

ولابد ان ينعكس هذا الحال المتردي على احوال الناس وامور معاشهم فاشتد البطش وانتشرا الفساد وراح الاقوياء يتسابقون الى جمع الاموال والاقتتال من اجل الرياسة والتسلط وقد ظهر ذلك جليافي شعر المعري قال:

مل المقام فكم اعاشر امة
امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلمو الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

في هذا الجو السياسي الخانق عاش المعري الحكيم وويل للعالم الفطن والالمعي اللسن ان تقذف به الاقدار في مثل تلك المجتمعات التي لاتخضع الا لمنطق القوة ولاتذل الا للاقوياء الذين اخذوا الدنيا غلابا واخضعوا الناس لجبروتهم وسطوتهم مستغلين افانين الحيل ضاربين عرض الحائط بكل القيم الأنسانية والدينية لتحقيق مأربهم فالغاية عندهم بترر الوسيلة والافضع من هذا ان يكون هؤلاء من الغرباء عن الامة لاتربطهم بها وشائج القربى ولا القومية فهم انما يندفعون في ذلك عن احساس داخلي قد لايشعرون به هم انفسهم وذاك الاحساس هو الثأر من العرب الذين حطموا امجادهم ودمروا ممالكهم ونشروا بين مجتماعاتهم دعوة الخالق سبحانه وتعالى ودعوة الاسلام التي دان لها صغيرهم وكبيرهم لم تنس تلك الامم ذلك فراحت تعمل بالسر

والعلانية ضد السلطة العربية حتى استطاعت اخيرا ان تقفز الى الحكم وبدأت تسيم العرب الخسف والجور. . ولكن اعود فأقول ان بعض تلك الشعوب كانت على العكس تماما فقد كانت ترى في العرب المنقذ لهم من الوحشية وعبادة الاشخاص فكان الكثير منهم يجل العرب ويعترف لهم بهذا الفضل فضل الدين وما احتواه من قيم وفضائل.

اما بالنسبة للعلم فقد ازدهر في القرن الرابع الهجري ايما ازدهار فقد شهد عصر المعري انفجارا علميا في شتى مجالات الفكر استغلها صاحبنا احسن استغلال وافاد منها الشيء الكثير ففي اللغة كان اماما لأنه اطلع على كتب اللغة والنحو التي الفت من قبل والدليل على ذلك شروحه على كتاب سيويه «تفسير امثلة سيوية وغريبها» وكتابه «عون الجُمل»

وهو تعليقات على كتاب الجمل للزجاجي وكتابه «قاضي الحق»الذي يتصل بكتاب «الكافي» لاحمد بن محمد النحاس وغيرهااما الشعر فقد استوعبه استيعابا كاملا فقد قرأه منذ صغره وفي شتى عصوره وحفظ منه الشيء الكثيروشاهدنا على ذلك ماكان يمليه من شعر وهو بصدد تأليفه فقد احتوت تلك التأليف على مجموعات شعرية هائلة.

اضف الى ذلك شروحه لدواوين كبار الشعراء امثال المتنبي وابي تمام والبحتري وغيرهم ممن سبقوه كما تصدى لشرح مختارات ابي تمام المعروفة «بديوان الحماسه»وغيرها من المختارات والقصائد والدواوين

لقد افاد المعري من كل ذلك افادة واسعة اهلته لان يحتل مكانه بين فحول الشعراء وكبار النقاد.

اما في العلوم الدينية والفلسفية فكان لايشق له غبار يبدو ذلك جليا من خلال اشعاره وخاصة في ديوانه «لزوم مالايلزم» الذي تعرض من خلاله الى اشارات ذكية تدل على طول باعه في هذين المضمارين.

ان المعري كان قارئا نهما لم يتناول كتابا الاوهضمه او ديوانا شعريا الا واستعرضه وتفهمه فكان يقرا كل مايقع تحت يديه وقد هيأ له عصره كل مايرغب فيه من معارف وعلوم فأنكب صاحبنا عليها انكباب الظمىء على الماء القراح يعب منه عبا.

لاجله فقد تركت الاديان والفلسفات التي قرأها ميسما بارزا على اشعاره

كما تحس وانت تقرأ بعض اشعاره ان طابع الفلسفة الأغريقية كان يلوح لك بين الفينة والفينة من خلال اشعاره. ولكن مهما قيل عن ثقافة المعري الفلسفية واستيعابه لاحكامها وقوانينها فليس لنا الحق ان نعده في زمرة الفلاسفة كما عدة الكثيرون

لان الفيلسوف ذلك المفكر الذي يحاول ان يتناول قضايا معنية او ظاهرة بذاتها ويدرسها دراسة متفحصة عميقة ليخرج بعد ذلك بحل او حكم نهائي ومتكامل لتلك القضايا ومثل هذه الدراسة لم تتوفر لدى شاعرنا فهو حكيم وقد تشبع فكرة باراء متباينة فتأثر بها فراح يقرر بعضا منها في اشعاره ورسائلة

ترجمة المعري :

هو احمد بن عبدالله بن سليمان المعروف بابي العلاء المعري نسبه الى معرة النعمان القريبة من مدينة حلب.

منهم من ذكر نسبه مفصلا فوصل به الى الجد الخامس عشر كما فعل يافوت الحموى في «ارشاد الأريب الى معرفة الاديب». ولد يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر ربيع الاول عام ثلاث وستين وثلاثمائه ذكر ذلك الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» والسمعاني في «الانساب» الا ان العباس المكي ذكر في كتابه نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ان ولادة المعري كانت يوم الجمعة الموافق السابع عشر من شهر ربيع الاول بمعرة النعمان عام ٣٦٣ وايد هذا القول الاستاذ حنا الفاخوري في كتابه« الجديد في الأدب العربي».

اما تاريخ وفاته فقد اختلف الرواة في تحديدها ذكر بعظهم انه توفي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعمائه اما الحموي فيذكر انه توفي يوم الجمعة الثاني من ربيع الأول سنة ٤٤٩ في ايام القائم يعنى هذا ان ولادة شاعرنا كانت في العصر العباسي الثالث اي في العهد البويهي المضطرب الذي اختلت فيه الأمور واشتبكت المشاكل فلقد ظهر الورع الى جانب الفجور والتقرب الى الله الى جانب الابتعاد عنه والايمان الى جانب الالحاد.

ولكن الى جانب هذه الفوضى الضاربة فقد حفل هذا العهد بالعلم والثقافة والحكمة اذ انتشرت في ربوع الدولة المكتبات الواسعة مما يسّر

تحصيل العلم لكل من يرغب فيه فقد انبثقت ينابيعه الثره في مشرق العالم الاسلامي ومغربه كبغداد والشام ومصر والمغرب والاندلس كما حفلت مدن اخرى بحركات علمية وفلسفية كانت اشبه شيء بالروافد التي راحت تنساب لتصب في بحر الفكر الاسلامي العربي الذي حمل مشعل الحضارة بعد ان خبا اوارها في ارض الاغريق والروم وفارس لقد شب شاعرنا على الشغف بالعلم والحب للمعرفة والتقديس للحكمة فلقد عوده والده عبدالله بن سليمان التنوخي.

على ذلك وكان عالما وقوراً مشهودا له بالحلم والحياء والوقار اقول. . ان اباه هذا كان يعطف عليه كل العطف خاصة بعد ان فقد بصره في السنة الثالثة من عمرة فراح هذا الوالد الحنون يتعهد هذا الصبي الذي فقد اعز مايمتلكه الانسان فبدأ يُقرأه القران الكريم ويعلمه اللغة والنحو فحبب اليه منذ صباه الدرس والمطالعة.

ولكن سرعان مايرحل عنه ابوه فيترك ذلك فراغا كبيرا في حياته ويرثية بقصيده رائعه مطلعها.

ونـاديـة في مـسـمـعـيْ كـل قـيـنـة
تـغـرد بـالـلحـن الـبـريء مـن الـلحـن

هذا فيما يتعلق بابيه اما امه فلم يذكر المؤ رخون شيئا عن حياتها بل كل ماذكروه عنها قولهم «انها كانت سببا في رجوعه من بغداد الي المعرة».

وقد وافتها المبنية وهو قادم من بغداد متجها نحو المعرة فأنشد قصيدة يرثيها منها.

فـأن يـنـقـطع مـنـك الـرجـاء فـأنـه
سـيـبـقى عـلـيـك الحـزن مـابـقـي الـدهـر

واخيرا لنستمع الى القفطي يكشف لنا جوانب من تلك الشخصية الأدبية الكبيرة قال:

«اخذ اللغة من اصحاب خالويه وطبقته وطمحت نفسه الى الاستكثار من ذلك فرحل الى طرابلس الشام وكانت بها خزائن كتب قد اوقفها ذوو اليسار من اهلها. فاجتاز باللاذقية ونزل دير الفاروس وكان به

راهب يشدو شيئا من علم الأوائل فسمع منه ابو العلاء كلاما من اوائل اقوال الفلاسفة حصل به عنده شكوك ولم يكن من ذوي الاحوال في الدنيا بل كان جمع وارده وقف خلف له يشاركه فيه غيره من قومه.
وكانت له نفس تشرف ان تحمل المتن فمشى حاله على قدر الموجود فاقتضى ذلك خشن المأكول والملبوس والزهد في ملاذ لدنيا وكان الذي يحصل له في السنة مقدار ثلاثين دينار قدر منها النصف لمن يخدمه وابقي النصف الآخر لمؤ ونته فكان اكثر اكله العدس مطبوخا وحلاوته التين ولباسه خشن الثياب من القطن وفرشة من لباد في الشتاء وحصيرة من البردي في الصيف وترك ماسوى ذلك».
والي ذلك يشير الجواهري واصفا اياه:

على الحصيروكوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
اقام بالضجة الدنيا وأقعدها شيخ اطل عليها مشفقا حديا

ويقال ان نفسه الجبارشة لحب المعرفة هي التي دفعت به الى بغداد طلبا للعلم فيها لتواجد العلماء هناك ويذكر بعظهم انه توجه نحو بغداد عام ٣٩٩ عندما اراد نواب حلب ان بسلبوه الوقف الذي كان يقتات منه فتوجه الى بغداد شاكيا ومتظلما وكان ذكره قد سبقه اليها وهناك قرأ ديوانه سقط الزند على جماعة من الفضلاء واجتمع بالشريفيين الرضى والمرتضى وشهدا له بفرط الذكاء والفطنة.
اما سبب قفوله الى المعرة فيذكر بعظهم ان المعري كان يحضر مجلس الشريف المرتضى وكان هذا قد تهجم على المتنبي وشعره مما اثار المعري وكان هذا الاخير يحمل الحب والاحترام والاعجاب لهذا الشاعر فلما سمع تهجمات المرتضى رد عليه قائلا لو لم تكن للمتنبي الاقصيدته.

لك يامنازل في في القلوب منازل لكفاه فخرا.
فأطرق المرتضى ثم قال «اخرجوا هذا الاعمى من مجلسي» فاخرجوه ويقال انهم سحبوه على الأرض سحبا ومن الطبيعي ان مثل هذه المعاملة الفضه تركت اثارها الدامية في نفس صاحبنا فصمم على ترك بغداد الى حيث لارجعة.

وقد لام الشريف المرتضي بعض أصحابه على هذه المعاملة القاسية لهذا الشاعر الضرير فأجابهم .

انه اراد ان يهزأ بي، اذ كانت غايته من ذلك بيت المتنبي المشهور، الذي ورد في قصيدته . . لك يامنازل في القلوب.

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهس الشهادة لي بأني كامل

وهكذا عاد المعري الى المعرة مكسور النفس من تلك المعاملة التي عومل بها من قبل الشريف المرتضى . ومما زاد الطين بلة . انه صدم بوفاة امه التي فارقت الحياة، وهو في طريقه الى المعرة والتي كان يكن لها كل الحب.

بعدها قرر الايغادر بلدته ولامنزله مشيرا الى ذلك بقوله :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

شعر المعري :

الشعر نفحات تصدر عن الشاعر معبرة عما يجيش في نفسه من امال او في عقله من افكار وفي مخيلته من صور فالشعور في واقع حاله تعبير عن تلك الاحلام التي تداعب ضمير الامة والهواجس التي تبدو للمجتمعات البشرية في اشكال وصور من العسير عليها ادراكها واضحة واستيعابها كاملة وان يبين ابعادها عن كثب وهنا ينهض الشاعر بما اوتي من خيال مجنح وشعور مرهف وحساسية شفافة ليقرب البعيد ويجلى الغامض ويشخص المجهول.

قد يشارك الشاعر في هذه المهمة الكاتب والمفكر والفنان ولكن تبقى الريادة للشاعر لانه يمتلك من اساليب البيان ومن الخيال مايؤهله لذلك فهو يمتلك من المفكر فكره ومن الموسيقى انغامه وايقاعاته ومن الرسام الوانه وخطوطه.

استمع الى شاعر المعرة كيف استطاع ان يصور ليلة غاب عنها القمر وانتشرت فيها النجوم تصويرا صارخا يعجز حتى امهر الرسامين عن

ذلك فنقل الينا صورة ناطقة معبرة قال:

ليلتي هـذه عـروس من الـز نـج عليهـا قـلائـد من جُمان

فبهذه الاستعارة الجميلة شبه سواد الليلة بسواد الزنجية اما الجواهر التي تقلدتها وتحلت بهافهي كالنجوم اللامعه التي انتشرت في سماء تلك الليلة فأية ريشة مرهفة استعارها الشاعر وأية الوان شفافة استعملها واية خطوط انيقة اختطها ليصل الى هذه الصورة الرائعة؟

اما قوله في الموت:

سـر ان اسـطعـت في الهـواء رويـدا
لااخـتـيـالا عـلى رفـاتِ الـعـبـادِ
ربَّ لحـدٍ قـد صـار لحـداً مـرارا
ضـاحـك مـن تـزاحـم الاضـداد

فكلنا يشعر باننا بعد الموت سنتحول الى تراب وكلنا يعلم كذلك ان الحفرة الواحده قد تستقبل عشرات الموتى على اختلاف طباعهم فهم قد يتغايرون علما وجهلا وغنى وفقرا وضعفا وبأسا حتى ان الحفرة نفسها بدأت تسخر من هذا التناقض.

جاء الشاعر فعرض ماكان يجول في خواطر نا عرضا حيا لقد عاش المعري حياته الاولى التي تبدأ بقوله الشعر وتنتهي عند رجوعه من بغداد واستقراره في بيته عاش في هذه الفترة عيشة طبيعية لهذا كان شعره في هذه المرحلة شعرا طبيعيا يحاكى الشعر الشائع في وقته وكانت اغراضه لاتخرج عن اغراض الشعر المتعارف عليه انذاك.

يشهد بذلك ديوانه «سقط الزند» اذ كانت جل قصائده تبدأ بالغزل او الوصف وغير ذلك مما كانت تحفل به القصيدة الجاهلية والاسلامية اسمعه ينشد على شاكلة الجاهلين.

وكـل ابيض هندي لـه شطب مثـل التكسـر في جـار بمنحـدر
تغايرت فيـه ارواح تموت بـه من الضراغم والفـرسان والجـزر
روض المنايا عـلى ان الدمـاء به وان تخـالفن ابدال من الـزهر
ماكنت احسب جفنا قبل مسكنه في الجفن يطوى على تار ولانظر
ولاظنت صغارا النملِ يمكنها مشيا على اللج او سعيا على السعر

اما مانظمه بعد عزلته فيختلف في معانيه وعمقه ومراجيه عن الاول لانه استفاد من التجارب الكثيرة التي مر بها بعد ان خبر الناس وعرف من احوالهم مالم يكن يعرفه من قبل فقد اودع شعر المرحلة الثانية في ديوانه «لزوم مالايلزم» كان هذا الديوان يخلو من اغراض الشعر التقليدي كالفخر والهجاء والغزل بل ان المعري حاول ان يجول جولة كبيرة يحاول اكتشاف بعض اسرار هذا الكون او على الاقل التعريف بهذه الاسرار وفي رأيي ان محاولاته لم تذهب عبثا بل استطاع ان يقدم مفاهيم كانت خافية على الكثيرين ممن قرأوا شعره قديما وحديثا.

فقد تعرض الى بعض العقائد الدينية والعلوم الفلسفية والكونية كالجنة والنار والملائكة والجن والعقل والارادة وغيرها فطرقها على ضوء ماامتله عليه معارفه ودعاه اليه عقله فقد كان حربا على الخرافات والشعوذة وتارا اصلى بها الدجالين والظالمين.

كان المفروض ان تكون الشرائع سبل هداية للبشر لاان تكون مدعاة للتفرقة والتناحر اسمعه يقول:

إن الشرائع القت بيننا إحننا
واودعتنا افانين العدوات
وهل ابيحت نساء الروم عن عرض
للعرب الا باحكام النبوات

ويهاجم فكرة المهدي المنتظر بعد ان استحوذت على العقول وراح يعتقد بها الخاص بله العام يقول:

يرتجي الناس ان يقوم امام
ناطق بالكتيبه الخرساء
كذب الظن لاامام سوى العقلِ
مشِيرا في صبحه والمساء
فاذا ماطعْتَه جلب الر حـ
مة عند المسير والارساء

ويقول كذلك

ايها الغر ان خصصت بعقل
فأسألته فكل عقل نبي

الى غير هذه الاغراض التي عالجها صاحبنا على ضوء ماكان يمليه العقل غير آبهٍ بالتقاليد السيئة التي كانت متفشية في مجتمعه فكان يلذعها بشعره كما يلذع الطبيب الحاذق مواطن الاورام الخبيثة ليستأصل الداء فكانت الدهماء والمشعوذون والمتاجرون بالقيم والمثل يشعرون بوخزات اشعار المعري كما كان المريض يتأوه من وقع مشرط الطبيب.

لهذا شنوها حربا ضد اشعاره متهمين اياه اتهامات قاسية هو براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولكن هذه حال الدنيا وحال اناسها تجاه كل مصلح سواءا كان سياسيا ام دينيا ام اجتماعيا فقد حدثنا التاريخ ان امثال هؤلاء يكونون عرضة للاتهمات والشبهات حول مايطرحونه من جديد فلايستأنس الناس بهذا الجديد ويتفهمونه حتى فهمه الا بعد زمن فبعدها يصبح هؤلاء في عداد العظماء والخالدين.

ولنا في رسول الله «ص» خير شاهد على مانقول فكثيرا ماأوذي وشرد وابعد عن اهله وخلانه. لالشيء الالانه اراد ان يستبدل شرهم بخير وتفرقهم بوحدة تجمع شتاتهم وتجعل منهم قوة يحسب لها الف حساب بعد ان كانوا متفرقين وهدفا للطامعين اذ لانستغرب ان تقوم الضجة حول المعري متهمة اياه بالزندقة والخروج عن مباديء الدين الحنيف لانه هاجم الأدعياء من رجال الدين والمرتزقة الذين تظاهروا بالدين وهم منه براء يقول في هؤلاء.

سبح وصل وطف بمكة زائرا
سبعين لاسبعا فلست بناسك
جهل الديانه من اذا عرضت له
اطماعه لم يلف بالمتماسك

اليس قوله هذا حقا فالذي تأصلت فيه مباديء الدين القويم وتعاليمه السمحة يسمو فوق اطماع الدنيا وشهواتها يروى ان الامام عليا رضي الله عنه كان مارا في السوق فراى قصابا يعالج ذبيحة فوقف ابو الحسن ينظر الى الذبيحة مما اثار انتباه القصاب وظن انه يريد شيئا من لحمها.

فقال الجزار للأمام (رضي) أأقطع لك منها شيئا ياابا الحسن؟ فرد عليه الامام (رضي) ماعندي مادفع لك فأجابه القصاب.. اصبر عليك.

فرد عليه الامام (رضي) «اني لأصبر على نفسي منك»

ياللروعة . . الامام على ابن عم الرسول (ص) وزوج ابنته الزهـراء واول فتى دخل الاسلام وابلى فيه احسن البلاء هذا الرجل تابي عليه نفسه التي صقلها الاسلام صقلا وهذبها تهذيبا يأنف ان يصبر عليـه القصاب لأنه يمتلك نفسا مؤمنة صابرة.

وقد رأى المعري غفر الله له ان يمتدح الامام عليا وكل من استجاب لداعي الحق والدين : قال

وعـلي الافق من دمـاء الشهيـد ين عـلي ونجله شـاهـدان
فـهـما في اواخـر الليـل بـدرا ن وفي اوليـاتـه شفـقـان
وجمـال الاوان عـقب جـدود كـل جـد منهم جمـال اوان

فهل من يحمل هذا الود لآل النبي (ص) ايتهم بـالالحاد والـزندقة والمروق على الدين . . . اللهم غفرانك .

نماذج من شعره

رثاء صديق

من داليته المشهورة يرثى بهاصديقه الفقيه الاديب ابا الخطاب الجبلى وقد وافته المنية وهو في غنفوان شبابه .

غـير مجـدٍ في ملتي واعتقـادي نـوح بـاك ولاتـرنـم شـادِ
وشبيـه صـوت النعي اذا قيس بصـوت البشـير في كـل نـادِ
ابكت تلكم الحمـامـة ام غنت عـلى فـرع غصنـهـا الميـادِ
صـاح هذي قبـورنـا تملأ الـرحب فـأين القبـور من عهـد عـادِ
خفف الـوطـأ مـاأظن اديم الار ض الا من هـذه الاجسـادِ
وقـبـيـح بـنـا وان قـدم الـعـهـد هـوان الابـاء والاجـدادِ

سرّ ان استطعت في الهـواء رويدا   لااختيـالاً عـلى رفـات العبـاد
رب لحـد قد صـار لحـد مـرارا   ضـاحـك من تـزاحـم الاضـدادِ
ودفـين عـلى بـقـايـا دفـين   مـن قـديـم الازمـان والابـاد
تـعب كـلهـا الحيـاة فـما اعـجـب   الا مـن راغـب في ازديـاد
ان حـزنا في سـاعـة المـوت اضعـا   ف سـرورٍ في سـاعـة الميـلاد

وبعد هذه الومضات المشرقة من ومضات العقل والنفس التي انبثقت حزنا على صديق عزيز اقول بعد هذا يتنقل للغرض الذي قصده: فيقول

قصـد الدهـر من ابي حمزة الاداب   مـولى حج وخـدن اقتصاد
وفقيهـا افكـاره شـدن للنعمـان   مـالم يشـده شعـرزيـاد

شرح عام للقصيدة:
دون جدل ان قصيدة المعري هذه تعد من عيون المرااثى في ادبنا العربي ان لم تكن اشهر المراثى قاطبة لانها صدرت عن القلب لاتكلف فيها اضافة الي تلك التحليقات الفلسفية العليا التي سما اليها الشاعر.
يقول: لقد تساوى كل شيء بالنسبة لي فلم اعد افرق مابين الحزن والفرح والبكاء والغناء لانه لاشيء في حياتنا هذه يغري او يفرح فقد تجردت من لذائذ الحياة ومغرياتها.
اينما وجهت نظرك صادفتك قبـور هي قبورنـا فأين اذا قبـور الذين سبقونا؟ وغادرو الحياة من قبلنا؟
واذا مشيت على الارض فامشِ الهونياولاتتبختر في مشيتك لانك تمشي على بقايا اجساد لاتراب.

لقد كثر نزلاء المقابر حتى ان اللحود باتت ساخرة ضاحكة من تغاير اولئكم النزلاء فمرة يفد عليها اي اللحود ملوك واخرى رعاع الناس ومـرة يؤمها علماء واخـرى جهلاءان حيـاتنا كلهـا تعب وترح واني لاعجب من الذين يرغبون في ان تطول بهم الحياة علما ان اتراحهـا اضعاف افراحها وماتجليه علينا من الام واحزان اضعاف ماتهبه لنا من سرور وملذات.

لقد اغتالت المنية ابا حمزة الذي كان يتمتع بادب جم والذي شاد بافكاره الفقهية مالم يستطيع احد من مثله ان يشيده.
قال يمدح الشريف موسى بن اسحق.

علـلاني فـان بيض الامـاني   فـنيـت والـظلام لـيس بـفـاني
ان تنـاسيتـما وداد انـاس   فـاجعـلاني من بعض مـاتـذكـراني
رب ليـل كـأنـه الصبـح في الحسن   وان كـان اسـود الـطيلسـان
قــد ركضنـا فيـه الى اللهـو لمـا   وقف النجم وقفـة الحيـران
كم اردنـا ذاك الـزمـان بمـدح   فشغلنـا بـذم هـذا الـزمـان
ليلتي هـذه عـروس من الـز   نج عليهـا قـلائـد من جمـان
هـرب النـوم عن جفـوني فيهـا   هـرب الأمن عن فؤادِ الجبـان

ثم ينتقل الى المدح فيقول:
يـا ابن مستعرض الصفـوف ببـدرِ   ومبيـد الجمـوع من غـطفـانِ
احـد الخمسـة الفـريق هم الاغـرا   ض في كـل منـطق والبيـانِ
والشخـوص التي خلقن ضيـاءً   قبـل خلق المـريـخ والميـزانِ

الشرح الاجمالي:
نسياني ماحل بي فأن اوقاتنا الحلوة قـد ذهبت ولم يبق من ايامنـا الا النغص والنكد اذا نسيتم حب الاخرين فلا تنسيا حبي لكم قد يكون الليل كالصبح معكم لان البهجة تجعل من سواد الليل بياضا طالمـا استمتعتنا بتلك الليالي الحلوة حتى ان الليل لم يكد ينقضي وقف النجم حيران فيه اردنا ان نكيل المديح لذلك الزمان الحلو ولكن انشغـالنا بمشاكل هذا الزمان انسانا مديح الماضي.
ان ليلتي بسوادها وانتشار النجوم بحواشيها كأنها زنجية في ليلة عرسها وقد خلعت على جسمها قلائد من الدر.

لقد هرب النوم واصابني الارق كما يهرب الاطمئنان عن فواد الجبناء وقت الخوف والشدائد.
ياابن الذي قـاد الجيوش في معـركة بـدر بشجاعتـه واقدامـه جموع

الاعداء .
لقد كنت من اعظم الرجال منطقا وبلاغة وابن اعاظم الرجال الذين اشتهروا بالفصاحة وذراية اللسان هم في اخلاقهم وحسن وجوههم كأنهم خلقوا من ضياء لامن طين كبقية البشر .
وكان شاعرنا ينكر مذهب الماديين قال في ذلك :

سلي الله ربك احسانه فأنك ان تنظري تألمي
وليس اعتقادي خلود النجوم ولامذهبي قدم العالم

أسألي الله تعالى ان يقودك الى الراي الصواب لانك ان نظرت في اقوال الفلاسفة وخاصة الماديين منهم واطلعت على مناقشاتهم فسوف تتألمين لما تسمعين . اما انا فلست ممن يعتقد بخلود العالم فأن كل شئ الى زوال الا الله سبحانه وتعالى .

الاكل شيء ماخلا الله باطل
وكل نعيم لامحالة زائل

تبين لنا من هذين البيتين وغيرهما من الاشعار التي ساقها شاعرنا في دواوينه انه مسلم مؤمن بعيد كل البعد عن الزندقة والالحاد كما اتهمة اعداؤه وحساده .
وللمعري رحمه الله في اختلاف الشرائع نظرة فهو يرى ان اختلاف الاديان لم يكن نعمة على البشرية بل كان نقمة . . يقول في ذلك .

مر الزمان فاضحى في الثرى جسد
فهل تحلى رجال في الملاوات
والروح ارضية في راي طائفة
وعند قوم ترقى في السماوات
تمضى على هيئة الشخص الذي سكتت
فيه الي دار نعمى او شقاوات
وقدرة الله حق ليس يعجزها
حشر لخلق ولابعث لاموات
فأعجب لعلوية ألاجرام صافتة
فيما يقال ومنها ذات اصوات

ولاتــطيــعــن قــومــا مــاديــانــتــهــم
الا احــتــيــال عــلى اخــذ الاتــاوات
وانمــا حمــل الــتــوراة صــاحــبــهــا
كــســب الــفــوائــد لاحــب الــتــلاوات
ان الــشــرائــع الــقــت بيننــا احــنــا
واودعــتــنــا افــانــين الــعــداوات

الاتاوات جمع اتاوة: مايأخذه القوى من الضعيف جبرا
الملاوات: جمع ملاوة البرهة من الزمن
شرح القصيدة:

ان حياتنا التي تحياها انما هي فترة قصيرة من الزمن فهل يستطيع الانسان او الرجال ان يلقوا فيها السرور والبهجة ومن الناس من قال ان الروح مادية ارضية كالجسد تفنى بفنائه ومنهم من يؤكد انها ليست من طبيعة الجسد بل هي نورانية سماوية ترقى الي السماء بعد وفاة الانسان فاذا كان صاحبها خيرا حسن الافعال سمت الي اعلى علين في جنات عرضها السموات والارض وإلا حشرت في النار لتلقى جزاء اعمالها.

ومثل هذا الحشر والبعث والحساب ليس بعسير على الله سبحانه وتعالى فهو كما خلقنا اول مرة باستطاعته يحيى العظام وهي رميم.
فهو الذي خلق السماء ومافيها نجوم ميتة صامته ومنها حية متحركة تبعث اصواتا عند حركتها
اما انت ايها الرجل العاقل فلا تبتع المحتالين الذين اتخذوا من الدين وسيلة للانتفاع ولاخذ اموال الناس بالباطل فاستبعد هؤلاء لانهم ابعد الناس عما اراده الدين من خير واخاء للبشرية ولايغرّنك حامل التوراة يقرأها ويشدوا باياتها انما يفعل ذلك لاتدينا بل ليحصل على الفوائد من البسطاء فأختلاف الشرائع قد زرع بين البشر الحقد فجعل كل جماعة تضمر العداء للجماعات الاخرى.
وكثيرا ماتعتور صاحبنا الحيرة ويقف ذاهلا امام الموت كما وقف قبله الالاف من المفكرين والفلاسفة في حيرة وخشوع يقول:

اذهـني طـال عـهـدك بالصقال
ومـاج الـنـاس في قـيـل وقـال
سـتـطلبـني المـنـيـة عـن قـريـب
فـأني في اسـار واعـتـقـال
اذا شُـغـلت عـن الاوصـال نـفـسـي
فـما لـلجـسـم عـلم بـانـتـقـال
اسـير فـلا اعـود ومـارجـوعـي
وقـد كـان الـرحـيـل رحـيـل قـال
امـور يـلـتـبـسـن عـن الـبـرايـا
كـأن الـعـقـل مـنهـا في عـقـال

كم تعبت ايها العقل وانت تستمع الى الاقوال المتضاربة في الموت اني اسير المنية وسالبي طلبها عندما تدعوني فالموت يأتي على غير موعد دون مقدمات وستغادر الروح حبسها منطلقة من الجسد الى حيث مـارسم لهـا من سعـادة او شقـاء وسـاذهب دون عـودة ولمـاذا رجوعي . . . وان رحيلى كان رحيل انسان قد كره الحياة وملها واحب مغادرتها هي امور قد خفيت عن العقول لانها عاَجزة على الاجابة عنها وكأن حاجزا قد حيل بينهما اي بين العقل والموت .

وكثيرا ماكانت الشكوك تحيط بصاحبنا فيجهر بانـه ماذا يصنـع وهو لايعلم شيئا عن حياته وآخرته يقول:
ان يـصـحـب الـروح عـقـلي بـعـد مـضـعـنـهـا
لـلمـوت عـني فـأجـدر ان تـرى عـجـبـا
وان مـضـت في الهـواءالـرحـب هـالـكـة
هـلاك جـسـمي في تـربي فـواشـجـيـا
اذا قدر لعقلي ان يصطحب الروح بعـد فراقهـا للجسد فـأنى سأرى العجب العجاب وسأتلقى عندها كل الاجابات التي تساءل عنها العقل في الحياة الدنيا وعجز عن ان يصل الي الاجابات الشافية .
اما اذا تلاشت بقـايا الـروح وفني العقل فنـاء الجسم في التراب فياحزني وياخيبتي لانى سوف لااصل الى اي جواب او فهم لسر هذه لحياة .

وهكذا كان شاعرنا يدور في حلقة مفرغة لانه طرح اسئلة فوق مستوى العقل فعجز العقل ان يسعفه بالجواب الامر الذي جعله يعيش في ضلام من الشك وقلق من الحيرة التي هيمنت على الكثير من اشعاره وخاصة الواردة في ديوانه «لزوم مالا يلزم».

معني الكلمات

الضعن: الرحيل

فواشجيا: فواحزنى

ومع اعتراف المعري ان العقل عاجز عن كثير من الاجابات فأنه امن به ولم ير غيره هاديا يقول

لقد صدئت افهام قوم فهل لها
صقالٌ ويحتاج الحسام الي الصقل
وكم غرت الدنيا بنيها وساءني
مع الناس مين في الاحاديث والنقل
سأتبع من يدعو الى الخير هاديا
وارحل عنها ما امامي سوى عقلي

لقد ران على بعض العقول الصدأ والتخلف فهي تحتاج الى من يزيل عنها الصدأ كحاجة السيف الذي يعلوه الصدأ الى الصقل ليكون حادا مرهفا.

وكثيرا مايغتر الناس بالدنيا فقد تخدعهم وتقدم لهم من اطايبها ومسراتها مايدفعهم الى التعلق بها.

اما انا فقد المني الكذب الذي انتشر بين الناس فاصبح بضاعة رائجة.

اما منهجي في الحياة فسيكون محصورا في اتباع كل من يدعو الى الخير اما الذين ابتعد عنهم الخير او ابتعدوا هم عنه فسوف لاتلقاني قريبا منهم.

وسأرحل عن هذه الدنيا الفانية متبعا مايمليه على العقل اما الاقاويل والظنون فلن تكون لي هاديا

كذب الظن لااله سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء

وبعد هذه الجولة المضنية التي إكتنفتها الشكوك وحومت عليها الظنون بعد هذا التعب المُضني الذي اعترى صاحبنا وهو في شك من الليل مظلم يرى ان الخلاص الوحيد الى استقرار النفس وطمأنينة الروح هو

ان يتوكل على الله خالقة فبيده سبحانه وتعالى مفاتيح الامور اما العقل فهو اداة قد يستطيع النقاذ بواسطته من ابواب محدودة وقد تستعصى عليه ابواب من العسير ان ينفذ من خلالها فدائرة العقل ضيقة محدودة والعالم واسع ومشاكله متعددة وقضايا ه متنوعة يسلم شاعرنا بهذا الامر فيعلن توكله في هذين البيتين بعد ان اعيته المسيرة واتعبه التخبط يقول .

رددت الي مليك الحق امري
فلم اسأل متى يقع الكسوف؟
فكم سلم الجهول من المنايا
وعوجل بالحمام الفيلسوف

لقدفوضت امري الى صاحب الامر فلم اعد بعد الان اسأل لم ولماذا؟ فاني رايت الموت خبط عشواء قد يسلم الجاهل ويعافى ويصاب الحكيم بشتى النوائب فيقع عرضة للفناء والموت .

الأباء والبنون

اولو الفضل في اوطانهم غرباء
تشذ وتنأى عنهم القرباء
فما سبأوا الراح الكميت للذة
وما كان منهم للخراد سباء
وحسب الفتى من ذلة العيش انه
يروح بادنى القوت وهو جباء
اذاماخبت تار الشيبة ساءه
ولو نص لي بين النجوم خباء
ومابعد مر الخمس عشرة من صبى
ولابعد مرّ الاربعين حباء
تواصل حبل النسل مابين ادم
وبنى ولم يوصل بلامي باء
تشاءب عمرو اذ تشاءب خالد
بعدوى فما اعدتنى الثوباء
وزهدنى في الخلق معرفتي بهم
وعلمي بان العالمين هباء

علـى الـولـد يجـنى والـد ولـو انهم
ولاة عـلى امـصـارهـم خـطـبـاء
وزادك بـعـدا عـن بـنـيـك وزادهـم
عـلـيـك حـقـودا انهم نـجـبـاء
ومـاادب الاقـوام في كـل بـلدة
الي المـين الا مـعـشـر ادبـاء

معنى الكلمات
سبأ والراح: اشتروا الخمر سباء المسبي الخراد: جمع خريدة الفتاة العذراء الحباء : العطاء

شرح الابيات :
اصحاب العقول الراجحة يعيشون كالغرباء ولو كانوا في اوطانهم لان احدا لايعرفهم ولايفهمهم فالصديق والقريب ينأى عهم فهؤلاء لم يتعاطوا الخمرة لقتل الوقت ولم يضيعوا اوقاتهم في اللهو والعبث لهذا لم يجدوا من يقربهم .
والذليل هو الذي يستطيب العيش ولو كان حقيرا قد تصدق به عليه اناس اخرون الشباب هو اعز فترة يمر بها الانسان فاذا ما انطقت تلك الشعلة الوهاجه فلاحلاوة للعيش ولو كان سكني مابين النجوم دليل على رفعة المنزلة« .
للصبى فترة اذا انقطعت ولى الصبى واذا ماتجاوز الانسان الاربعين فمن العار عليه ان يصبو ويتصابي ان النسل لم ينقطع منذ ادم حتى ولادتي ولكن رايت الاحسن ان اقطعه بان لااتزوج لان الحياة كلها عناء وكد .
كل انسان كان يقتدي بالاخر فيتزوج كما ينتقل التثاؤ ب من انسان لاخر ولكن العدوى لم تنتقل الي .
انها جناية الاباء على الاولاد ولو ان الاولاد نجحوا في حياتهم وارتقوا اعلى المناصب
وان شدة الذكاء والفطنه كثيرا ماتولد البرود والابتعاد بين الاباء وبينهم وما قاد الناس الى الكذب والخداع في كل مكان الا اولئكم الادباء الذين بشروا بالخديعة والكذب

غـدوت مـريض الـعـقـل والـديـن فـالـتـفـت
لـتـسـمـع انـبـاء الامـور الـصـحـائـح
فـلا تـأكـلنْ مـاأخـرج المـاء ظـالمـا
ولاتـبـغ قـوتـا مـن غـريض الـذبـائـح
وابـيـض امـات ارادت صـريحـه
لأطـفـالهـا ,دون الـغـوانى الـصـرائـح
ولاتـفـجـعـن الـطير وهـي غـوافـل
بمـا وضـعـت فـالـظلم شرٌّ الـقـبـائـح
ودع ضـرب الـنـحـل الـذي بـكـرت لـه
كـواسـب مـن ازهـار نـبـت فـوائـح
فـما احـرزتـه كـي يـكـون لـغـيـرهـا
ولاجمـعـتـه لـلـندى والمـنـائـح
بـنى زمـني هـل تـعـلـمـون سـرائـرا
عـلـمـت ولـكـني بهـا غـير بـائـح
سـريـتـم عـلى غـي فـهـلا اهـديـتـم
بمـا خـيرتـكـم صـافـيـات الـقـرائـح
وصـاح بـكـم داعـي الـضـلال فـما لـكـم
اجـبـتـم عـلى مـاخـيـلـت كـل صـائـح

شرح الأبيات:
اصبحت ياهذا مريضا في عقلك ودينك لان اعمالك وتجاوزك على حقوق الغير قد ابعداك عن المنطق السليم والدين القويم فالتفت الي واستمع الى الصحيح من الامور.
ابتعد عن اكل كل ذي روح فلا تخرج الاسماك من المياة لتجمعها طعاما لك ولاتتخذ قوتك من اللحم الطري بعد ان تذبح الاغنام والابقار واترك ماهيأته الحيوانات من طعمام لأطفالها فلا تأخذنه وتقدمه طعاما شهيا لزوجاتك الجميلات او بناتك.
اما الطيور فاتركها مرحة في اجوائها ولاتسدد اليها الموت وهي غافلة او تسطو على فراخها فهذا ظلم لايقبله الدين ولاالعقل اما النحل الذي يباكر الازهار صباحا ليمتص رحيقها العبق ثم يحوله الى عسل طعم

مذاقه فدعه له لانه احق به من ان تأخذه وتقدمه للضيوف في الافراح والاتراح فأني قد سبقتك الى هذا فأبتعدت عنها قبل ان تشيب الذوائب يامن تعيشون معي في هذا الزمن لقد علمت اشياء كثيرة خافية لن ابوح لكم بها لانكم ستسخرون منها وتهزأون بها لانها ستحد من شهواتكم ونهمكم.

حتى وانتم تجوبون طرق الضلال تستجيبون لاغراءاته واطماعه نابذين طرق العقل والدين والهدى.

معاني الكلمات

خيلت السماء برقت واشعرت بالمطر.

صرائح جمع : صريحة : الفتاة الجميلة

ضرب النحل : العسل

مراراة

يقولُ لك العقل الذي بين الهدى
اذا انت لم تدرأ عدوا فداره
وقبل يدالجاني الذي لست واصلا
الى قطعها وانظر سقوط جداره
ومالوقت الاطائر يأخذ المدى
فبادره اذ كل النهي في بداره
رأتك البرايا ظالما يابن ادم
وبئس الفتى من جار عند اقتداره
ونالت اذاة عنه ماساء ونائيا
وامن منه ضيغم في خداره
وفارة دارين افتراها لطيبه
وما امنت بلواه فارة داره

شرح الأبيات

يخاطبك عقلك مبينا لك طرق الهداية قائلا اذا لم يستطع ان تجابه عدوك وتبعده عنك فالاحسن ان تعانقه حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه ان ترده عن غيه واذا لم تستطع رد الاساءة الى المسيء فالأحسن ان تتريث حتى يزول عزه وينهار جبروته فعند ذاك اجهز عليه.

فليس من المعقول ان تكون الايام دائما مع القوي والظالم فكل انسان مهما كان قويا لابد ان يجنح الى الضعف ماطار طير وارتفع الاكما طار وقع »فكل ياخذ مداه في حياتنا الدنيا ولابد لهذا المدى من انتهاء.
لقد عرفك الخصم ياابن ادم جائرا اذا ماكتسبتِ القوة واسباب المجد وويل لمن يجور ويظلم عندما يكون متسلطا مقتدرا.
لم ينج احد من ظلمه وايذائه سواء اكان قريبا او بعيدا وخاصة اولئك الضعفاء الذين لاحول لهم ولاقوة في ردٍّ عدوان الاقوياء اما ذور الباس والشدة فهم كما يكون الاسد امينا وهو في عرينه.
وقد وصل اذاه الى كل شتى «فارة دارين» فارة قارورة يوضع فيها المسلك «دارين» مكان يجلب منه المسلك وهو في البحرين يقول ان كل شتى واقع تحت سطوة الاقوياء بدء بتلك القاروة التي فضها ليتمتع بمسكها كما ان اضعف الحيوانات لابأمن شره وهو قارة البيت.

المعري ناقدا

بعد ان تكلمنا عن شاعرية المعري واعطينا نماذج من شعره بقي ان نتناوله ناقدا.
والنقد هو دراسة النص الادبي دراسة دقيقة ليتسنى للناقد بعدها ان يظهر محاسن النص او وجود النقص فيه مبرزا جمال الفكرة واصالتها او سطو الاديب على افكار الاخرين واستعمالها مكررة في شعره او نثرة.
والنقد قديم قدم الادب شعرا كان ام نثرا الا انه ككل فن بدا بسيطا وراح يتطور ويتدرج شيئا فشيئا حتى تهيأت له اخيرا اسباب الكمال والنضوج بدأ النقد باحكام عفوية كان يطلقها الشاعر أو الناقد اعجابا يبت من الشعر او بقصيده كما قيل ان اعظم بيت قالته العرب قول الشاعر.

من يسأل الناس يمنعوه وسائل الله لايخيب

كما قدموا قصيدة على اخرى لاعتبارات لامجال لذكرها في حديثنا هذا.
ولكن قصة النقد كعلم له اصوله الثابتة ومؤلفاته الخاصة تبدأ في بداية القرن الرابع الهجري بعد ان استقرت الاحكام وصنفت العلوم

والفنون فاصبح لكل منها دراسة خاصة تتناول علما او فنا بعينه .
وقد عرف القرن الرابع كتبا نقدية اهتمت بدراسة النصوص الشعرية والنثرية كما عرف علماء كرسوا جهودهم للدراسات النقدية ومن اشهر هؤلاء الصولي في كتابه «النوادر» والمتوفي سنة ٣٣٥هـ وقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ في كتابية نقد الشعر ونقد النثر والامدى المتوفي ٣٧٠هـ والقاضي الجرجاني المتوفي ٣٩٢هـ.
فلابد والحالة هذه ان يتأثر المعري بهذه الحركة النقدية التي قدمت للادب والشعر خاصة خدمات جلى وهو الذي عاصر هذه الحركة المباركة علما ان شاعرنا كان قارئا نهما وخاصة عزلته وعكوفه في بيته فقد اعتمد على الكتاب في تثقيف نفسه فليس من المعقول على شخصية عرفت بثقافتها الموسوعية الا ان تتأثر بهذه الحركة النقدية التي كان صداها قد بلغ الافاق .
شروط الناقد عند المعري :

لقد كان مفهوم النقد عند شاعرنا ينحصر في الذوق اولا فالذي عدم الذوق لايستطيع ان يصدر احكاما نقدية صحيحة وعلى الناقد الى جانب حاسة الذوق ان يستعين بادوات كاللغة والنحو والعروض والبلاغة شريطة ان لا تكون البلاغة متكلفة لكيلا تذهب برونق الشعر وروعته فلطالما ازرى التكلف البلاغي بجمال البيت او القصيدة .
يقول المعري على لسان الصاهل في رسالة الصاهل والشاحج «اني اخذت الفاختة كي تكون حكما بيني وبين الشاحج في امور الشعر فقد كانت القاختة شاعرة ومن سبقنا كان يحتكم في مثل هذا الامر الى الشعراء فقد استعان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشاعر حسان من ثابت ليشرح له معنى بيت الحطيئة :
دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الطاسي
فكان قول حسان هو الحكم الفيصل في هذا الموضوع ومعنى تقديمه الشاعر في النقد لانه يمتلك الذوق الشعري والحس المرهف
اساليب النقد عند المعري :
لم يتخذ المعري طريقة واحدة ولامنهجا بعينه في نقده للشعر والشعراء بل تعددت مناهجه وتغيرت اساليبه فأحيانا يكون النقد عند صاحبنا

مقصورا على عرض النص او البيت الشعري دون ان يذكر اراء الاخرين ثم يأتي هو بالأخير ليقول رأيه كما فعل في بيت المتنبى :

مـامقـامى بـارض نخلة الا كمقـام المسيـح بـين اليهـود

يقول نخلة بالخاء المعجمة هي محلة بالكوفة وروى بالحاء نحلة وهي اصح وهو مقام بالشام على ثلاثة اميال من بعلبك» .

اهـن عـوادي يـوسـف وصـوا حـبـه

فـغـرمـاً فـقـد مـا ادرك الـسـؤل صـاحـبـه

يقول يروى بغير استفهام وربما جعلت في اوله الالف وهو احسن في السمع واجود .

واحيانا كان المعري يعلل ويرجح وكان في ترجيحاته يصيب كبد الحقيقة لانه كان يمتلك حسا مرهفا وذوقا يجتذب جمال النص اجتذابا هذا الى علم غزير ودراية واسعة باللغة والادب تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن في شرحها لرسالة الغفران ان المعري كان يرجع في نقد النص الى سلامة الذوق والى خبرته الدقيقة باساليب الشعراء وفهمه لاسرار اللغة .

مثالا على ذلك تعقيبه على قول الشاعر ابي الحجناء .

تحـيـة مـن غـادرتـه غـرض الهـوى

اذا زار عـن شـحط بـلادك سـلما .

يقول «الجيد عرض «بالعين» عرض عرضا لاسباب الهوى لان من اعراض الهوى الهلاك»

فهذا تخرج لايخلو من دراية باللغة وذوق .

ويقول في بيت الحسين بن مطير الاسدي

ولي نـظرة بـعـد الـصـدود مـن الجـوى

كـنـظرة ثـكـلى قـد اصـيـب وحـيـدهـا

ويروى وليدها والاول اجود لان ذهاب الوحيد ادعى للشكل والحزن»

وينقد بيت البحتري

قـربـت مـن الـفـعـل الـكـريـم يـداكـا

وتـأى عـلى المـتـطلبـين مـداكـا

فيقول وقد روى بدل قريب من الفعل الكريم يداكا وهذا غلط بين ودل على ان من روى هذه الرواية لايفهم شيئا من العروض لانه والحالة هذه يكون النص الاول من البيت من الطويل والقصيدة هنا من الكامل وذلك ليس يخفى على من له حس في التفاعيل والعروض » .

ثم ينتقل بعد ذلك الى أبي تمّام فيتعامل معه حسب مكانته في عالم التجديد الذي اشتهر بها واقصد ذلك التجديد في الصور التي حصل عليها من استعمالات الاساليب البلاغية التي كان يكثر منها في ثناياشعره يتعرض لبيته التالي .

مزقت ثوب عكوبها بركوبها والنار تنبع من حصى الجوزاء

يروى البيت بضم عين عكوبها وفتحة لكن المعري يختار الضم لأنسجام الموسيقى بين عكوب وركوب اولا وتقارب الجناس بينهما وهو ماغرم به ابو تمام فالمعري هنا يوجه نقده حسب ما كان يتوسمه في منقوده فابو تمام مغرم بالتورية والجناس والطباق وبقية الاساليب البلاغية .

اذن فهو يختار ماكان يوافق مزاج ابي تمام وماقاله في بيت اخر لابي تمام .

اسائلكم مابالـه حكم الهوى عليه والافاتركوني اسائله

وقد روى اسايله كذلك بدل اسائلة وعندها يكون المعنى ادق واحلى اي اسألكم ماوضع الهوى في هذا المكان مكان الحبيبة فان لم تجيبوا على سؤالي فدعوني اسفح دمعي واسيله على ماحل به من خراب فهذا المعنى دون شك معنى جميل ولكن المعري يختار اسائله من السؤال لالشيء الا ليكون الجناس تاما مابين اسائل في اول الشطر الاول واسائله في نهاية الشطر الثاني لانه في نقده يراعي اتجاهات المنقود واستعمالاته للمحسنات البلاغية . وكذلك يفعل في بيت ابي تمام

احمد بن سعيد ادخر الاسى

فيها رواء الحر يوم الضماء

يروى بدل رواء دواء ولكن المعري يختار كلمته رواء على غيرها لانها تشكل مع الضماء طباقاً وهو من الاساليب البلاغية التي ترددت كثيرا في اشعار ابي تمام .

والذي نريد ان نقوله ان المعري في نقده كان لاينسي ولايتغافل ولوع المنقود بناحية او بجانب تعبيري او جمالي كما فعل مع ابي تمام فكان في

تخريجاته ونقده لاشعاره لايغيب عن باله ان ابا تمام كان مولعا بالمحسنات البلاغية .

الشعر المنحول:

النحل : هو اسناد الشعر الى غير قائله نقول انتحل شخصية فلان اي قلدها وتقمصها .

وقد خاف الشعراء من هذه الاعراض التي اصابت الشعر قديما يروى عن الحطيئة قوله ويل للشعراء من راوية السوء» . لقد تجرأ النحالون على الرسول (ص) فأسندوا اليه احاديث هو براء منها فكيف لايتجرأون على الشعراء .

اعتمد المعري في معرفة المنحول على ديوان الشاعر او على النسخ المتوفرة ان كانت هناك اكثر من نسخةوهذا يدل على موضوعية وجدية في البحث .

يقول عن بيت ذي الرمة :

عدمتك من قلب وبدلت غيره
فأنك قلب ماعلمت مشوم

يقول«ان هذا البيت لم يثبت في نسخ الديوان المعروفة لذي الرِمة .

وفي بعض الاحيان يروى شاعرنا البيت لشاعرين دون اسناده الى احد منهما فيكتفي بذلك دون بيان رايه كما فعل في البيت المنسوب الى كل من بشاربن برد وابي الاسود النؤ لي وهو

وماكل ذي لب مواتيك نصحه
وماكل مؤت نصحه بلبيب

ذكر هذا البيت دون ان يرده الى احد قائليه المنسوب اليهما .

ولكنه في بعض مواقفه النقدية كان يعين نسبة البيت او الابيات لشاعر واحد وان كان منسوبا الى اكثر من شاعر كما في البيتين التالين المنسوبين الى عمرو بن كلثوم وعمرو بن عدي .

تصد الكأس عنا ام عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا
وماشر الثلاثة ام عمرو
بصاحبك الذي لاتصبحينا .

فالمعري كما ورد في رسالة الغفران يرجع كون البيتين لعمرو بن عدى علما ان هناك من الرواة من نسبها اليه فالتبريزي في شرحه للمعلقات يشير ان بعضهم قد رواها لعمرو بن عدي وكذلك فعل المرزباني في معجمه اذ رواهما اصلا لعمرو بن عدي وهكذا فعل المعري في رسالة الغفران اذ اعاد الكثير من الشعر المنحول الى اصحابه الحقيقين من خلال حوارات كانت تكون بين ابن القارح بطل تلك اللقاءات في رسالة الغفران وبين اولئكم الشعراء.

ومع كل ماتقدم كان المعري منصفا مع الرواة يلتمس لهم الاعذار ولايقوم بتجريح احد منهم اعترافا لهم بما قدموه من خدمات للشعر والادب واللغة.

ومنهج المعري يعتمد النظرة الشمولية لشعر الشاعر والقدرة على تمييز اسلوبه عن بقية الاساليب وهذا لعمري منهج علمي يغني النقد ويُثريه يعلق الدكتور امجد الطرابلسي في كتابه النقد واللغة في رسالة الغفران ص ٥٩ على ذلك بقوله ان معرفة الفاظ الشاعر والفاظ عصره طريقة قويمه من طرق النقد ودليل واضح على اتساع ثقافة الناقد وعمق دراسته»واخيرا لتستمع الى ابن القارح يحاور الشاعر الجاهلي إمرأ القيس ويسأله عن التخميس الذي نسب اليه وصفه:

ياقوم ان الهوى اذا اصاب الفتى
في القلب ثم ارتقى فهد بعض القوى
فقد هوى الرجل

فيرد امرؤ القيس مستغربا لاوالله ماسمعت هذا قط واحسب هذا لبعض شعراء الاسلام.

نماذج نثرية

يتحدث المعري في رسالة الغفران على لسان ابن القارح مع الشاعر الجاهلي امرىء القيس فيقول «ياابا هند ان رواة البغدادين ينشدون في قفانيك) هذه الابيات بزيادة الواو في اولها اعنى قولك.

وكأن ذري راس المجيمر غدوة وأن مكاكي الجواءوكأن السباع فيه غرقي

فيجيبه امرؤ القيس «ابعد الله اولئك لقد اساءوا الرواية واذا فعلوا ذلك فأي فرق يقع بين النظم والنثر وانما ذلك شيء فعله من لاغريزة له في معرفة وزن القريض فظنه المتأخرون اصلا في المنظوم وهيهات هيهات»

والمعري هنا يعتمد على حسه الموسيقى يردّ الرواية مبدوءة بالواو لان الوزن في تلك الابيات لايستقيم مع الواوات في اوائلها علما ان بعض الرواة قد استساغها وخاصة رواة البغدادين لانهم لم يروا في زياداتها تاثيرا على اوزان الابيات بينما يرى المعري ان هذه الواوات في اول الابيات تخرج الابيات من اوزان الشعر الي النثر .

السرقات الادبية :

تكلم المعري عن السرقات الأدبية ولكنه سماها اخذ وهذا يدل على اخلاقية عالية كان يتحلى بها الرجل وقد ذكر ان البحتري مع علو منزلته في عالم الشعر كان يسطو على ابي تمام فيأخذ عنه بعض صوره الشعرية بل احيانا لايكتفي بالصور والافكار بل يلتقط منه الكلمات كما في البيت الاتي :

كريم اذا ضاق الزمان فأنه
يضيق الفضاء الرحب عن صدره الرحب

فهو لايخفى ترديد لقول حبيب بن اوس

فهو صدر لو ان الارض واسعة
كوسعه لم يضق من اهله بلد

فكما يبدو انه سطا على الصورة والفكرة بل وحتى كلمة «يضيق التي وردت في بيت ابي تمام .

ويشير ايضا الى بيت المتنبي .

راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشق القلوب قبل الجلود

يقول انه ماخوذ من قول كثير عزة

رمتني بسهم ريشها الهدب لم يصب
ظواهر جلدي وهو في القلب جارح

النقد اللغوي :

لقد كان صاحبنا مهيمنا كل الهيمنة على زمام اللغة ومسيطرا على عنان غرائبها حتى لوحظ ان بعض النقاد يقدمون صفة اللغوي فيه على صفة الشاعر .

فقد بعث معاصره وصاحبه ابن القارح برسالة يقول فيها ان الشيخ يعني المعري ادرى بالنحو من سيبوية وباللغة والعروض من الخليل» .

ويقول الخطيب البغدادي كان عالما باللغة حافظا لها اما المرحوم طه حسين فاسمعه يصف صاحبه ان المعري كان شديد النقد في اللغة . . دقيق الملاحظة» .

ومن قرأ رسالة الغفران وباقي رسائلة صدق عن يقين ماقيل في منزلة هذا الشاعر اللغوية .

اسمعه يعيب على المتنبي قوله :

وما نجا من شفار البيض مُنفلت
نجا ومنهن في احشائه فزع

يقول ان كلمة منفلت ليست فصيحة والصحيح مفلت .

وعاب كذلك على ابي تمام قوله :

ضوء من النار والظلماء واكفه
وظلمة من دخان في ضحى شحب

يقول : الفصيح شاحب وليس شحب» .

وفي مواضع كثيرة حاول المعري ان يتلمس الاعذار لبعض الهفوات والاخطاء التي صدرت عن بعض الشعراء كما فعل في بيت البحتري .

ومن اجل طيفك عاد مظلم ليله
اهوى اليه من بياض نهاره

يقول «لايقال اهوى اليه لكن الشاعر ربما قاس هذا بقولهم احب اليه» .

وكما وجد التعليل المناسب لبيت ابي تمام :

بيوم كطول الدهر في عرض مثله
ووجدي من هذا وهذاك اطول

فعقبت قائلا لما جعل للدهر طولا وصله بالعرض على معنى الاستعارة ولاحقيقة ان يوصف الدهر بذلك وانما هو طويل لاغير فاما العرض فأنما

هو على الامـاكن وماجـرى مجراهـا ماعلم احـد قبل الـطائي وصفه بالعرض ولكنه لما تقدم ذكر الطول استجاز ان يجيء بضده كما تكلم عن الضرورات الشعرية فقسمها الى ثلاثة انواع مقيسة مسمـوعة شـاذه فالشاذة كقول الشاعر:

لاعـهـد لي بـالـنـيـضـال فـأنـني شـيـخ بـال

فاضاف اليـاء وهو شا ذ.

وقول زهير.

لم يلقهـا الا بشكة بـاسل يخشى الحـوادث حـازم مستعـدِد

يريد مستعد، وهذا كذلك من الشواذ

الاوزان الشعرية:

اما بالنسبـة للاوزان، فقـد كان المعـري ذا اذن موسيقيـه تطرب للبحور ذات النغمات الرئيسية، التي تنزل على الاسماع، نزول الماء القراح على احشاء ظميء لاغب. كما اشار إن لكل معنى بحرا يناسبه، فما على الشاعر الا ان يختار من البحور مايتواءم والمعـانى التي يتطرق إليها. فهو يفضل بحر الطويل

فعولن مفاعلين فعولن مفاعيلن لان موسيقاه متناغمة، ، ومنسجمة مع بعظها، لذا فان اكثر الشعراء نظموا على هذا الوزن اكثر من سواه، وتركوا البحور الثقيلة كبحر المديد

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

واخير فالمعـري يرفض بعض البحـور، كالمقتضب، والمضـارع لثقل موسيقاهما، وتنافر الحركات والسكنات فيهما. وقد وقف شاعرنا عبر قصيدة الشاعر الجاهلي عبيد بن الابرص

اقفـر من اهلهـا ملحـوب فـالقـطبيـات فـالـذ نـوب

مستفعلن فاعلن مفعولن

فلم يعجبه هذا الوزن، ونفر منه، حتى قال في احدى قصائده:

قـد يخـطيء المـرأى أمـرؤ وهـو حـازم

كـما اخـتـل في وزن الـقـريض عـبـيـد

وهو لم يكتف بالاوزان بل تعرض للقافية، فقدم بعض الحروف على

غيرها لتكون قواف شعرية، لخفتها ورنين جرسها. وقد قسم القوافي اقساما ثلاثة، الذلل، والفقر والحوش.
فجعل الدال والراء والميم والعين واللام والباء من الحروف الذلـل، لكثرة استعمالها حروف روى اما الجيم، والزاء ونحو ذلك، فهي من الفقر، وهي اقل استعمالا من الذلـل. اما الحـروف الحوش، فهي الحروف الثقيلة، كالطاء، الظاء، الغين.
وقد عين بعض عيوب القوافيء، مثل الاقواء، الذي وقع فيه الحارث بن حلزه اليشكرى، من قصيدته:
اذنـتـنـا بـيـنـهـا اسـماء رب ثـاوٍ يمـل مـنـه الـثـواء
فحرف الروى جاء مرفوعا من كل ابيات القصيدة، الاقى هذا البيت
فملكنـا بـذلـك الـنـاس حتى ملك المنـذرين مـاء الـسـماء
فقد جاء مكسورا.
كما عاب على عمرو بن كلثوم سناده من هذا البيت
كأن فنونهن متون غدر تصقعها الرياح اذا جرينا
«السناد هنا فتح الراء قبل الياء الساكنة». من قوله جرينا. لان هذا الحرف جاء مكسورا في كل ابيات القصيدة، الا في هذا البيت.

وفي رسالة الغفران كذلك يعقد ابن القارح مجلسا ادبيا يحاور فيه النابغة الذبياني وبعض الرواة الذين نقلواشعره فصحفوا فيه فيسأل ابن القارح النابغة قائلا «يابا امامة انك لحصيف الرأي لبيب فكيف حسن لك لبك ان تقول للنعمان بن منذر:

زعـم الهـمـام بـان قـاهـا بـارد
عـذب اذا مـاذقـتـه قـلـت ازدد
زعـم الهـمـام ولم اذقـة بـانـه
يـشـفـي بـبـرد لـشـاتهـا الـعـطش الـصـدي

ثم استمر بك الحال حتى انكره عليك خاصة وعامة فيجيبه النابغة «لقد ظلمني من عاب علي ولو انصف لعلم اتى احترزت لذلك,
فيجيبه ابن القارح... «لله درك ياكوكب بني مرة لقد صحف عليك اهل العلم من الرواة وكيف لي يأبوي عمرو الشيباني والمازني وابي عبيده

وعبد الملك وغيرهم ولايلبث ابن القارح الا قليلا حتى يحضر الرواة الذين ذكرهم فيسألهم كيف تروون ايها المرحومون قول النابغة في الدالية . . واذا نظرت . . واذا لمست . . واذا طعنت . . الخ ايفتح التاء ام بضمها فيقول الرواة بفتحها هذا شيخنا ابو امامة يختار الضم ويخبر انه حكاه عن النعمان فتقول الرواة هو كما جاء في الكتاب الكريم والامر اليك فانظري ماذا تأمرين .

كل ماجاء في هذه المحاورة التي ابدعها خيال المعري المجتح انما هو رد على رواية هؤلاء الرواة المشهورين التي وردت على نصب التاء في الكلمات التي وردت في الابيات المتقدمة التي رأها المعري مرفوعة لانها وردت على لسان النعمان لاعلى لسان الشاعر يخاطب بها النعمان وقد توصل الى هذا المفهوم الجديد من خلال استيعابه للقصيدة كاملة لامن ابياتها منفردة او مجزأة كا فعل الرواة .

مؤلفاته :

للمعري كتب ورسائل ودواوين اكثرها قد فقد يقول القفطى في كتابه انباء الرواة على انباء النحاة

«واكثر كتب ابي العلاء هذه قد عدمت وانما يوجد منها ماخرج من المعرة قبل هجم الكفار عليها وقتل من قتل من اهلها وغصب ماوجدفيها» .

وقد ذكر الاستاذ عبد الصاحب الدجيلي، بعض كتب ابي العلاء، في كتابه «اعلام العرب في العلوم والفنون»

هي :

١ ـ الرسالة الحِفْية

٢ ـ الرسالة الزعفرانية

٣ ـ الرسالة السندية

٤ ـ رسالة العروض

٥ ـ رسالة الملائكة ـ طبع في مصر، وكذلك بدمشق ١٩٤٤ م

٦ ـ رسالة الاغريفي

٧ ـ رسالة المينح . طبع بعضها في بيروت عام ١٨٩٤ م وطبع البعض الاخر في باريس ١٩٠٤

٨ ـ رسالة الغفران : طبعت بمصر سنة ١٣٢٥ هـ

٩ ـ سقط الزند : طبع بمصر عام ١٣١٩ هـ ديوان شعر

١٠ ـ شرح ديوان المتنبي : طبع بدمشق ١٣٥٥ هـ
١١ ـ الفصول والغايات : طبع بالقاهرة ١٣٥٦ هـ
١٢ ـ اللامع العزيزي : نسخة موجودة بالقسطنطينة
١٣ ـ لزوم مالايلزم : ديوان شعر طبع بمصر ١٣٢٣ هـ
١٤ ـ ملقى السبيل طبع بالقاهرة ١٣٣١هـ.
١٥ـ اختيارات الاشعار في الابواب نسخة منه موجودة في خزانة ايا صوفيا.
١٦ـ شرح ديوان الحماسة (مختارات ابي تمام نسخة منه موجودة في المكتبة المصرية.
١٧ـ رسالة الهناء نسخة منه موجودة في دار الكتب المصرية.
هذا بالاضافة الى كتب ورسائل اخرى لاداعي لذكرها مخافة ان نطيل في قولنا.
خاتمة :

الذين تعرضوا لنقد شخصية المعري الادبية قسمان اولهما كان يجلّه كل الاجلال فيرى فيه فيلسوفا قد استكمل كل شروط الفيلسوف ومفكرا تجاوز بافكاره مجاهل المعرفة وتسلق قممها ليطل علينا من عليائها بصورة متكاملة عن مشاكل هذا الكون وامراض المجتمعات البشرية التي راح يسخر منها سخرية نفرت الكثير وابعدتهم عنها.

بل هم نسبوا اليه من الصفات التي من المستحيل ان تجتمع لانسانٍ واحد ومن القدرات من المتعذر ان ينوء بحملها شخص كابي العلاء نعم. ان المعري رحمه الله عاصر زمنا ازدهرت فيه العلوم والفلسفة، وشاعت في اوساطه وجهات نظر مختلفة ومتباينة حول الأديان السماوية والقوانين الأرضية، فلابد ان نترك هذه الحركة بما تحمله من ايجابيات وسلبيات وتاثيرها المباشر على شخص مثقفٍ ذكي كابي العلاء المعري فتاثر ببعضها، وتبنى البعض الآخر، وراح يجهر به في اشعاره ورسائله ولكن ليس معنى هذا انه اصبح في عداد الفلاسفة، كما يحلو للمفتونين بادبه وحكمته، ان ينسبوه الى رهط الفلاسفة ولكن الحب الجارف لهذه الشخصية الأدبية الكبيرة قد بلغ باصحابها ان يتخيلوا ما ليس هو موجوداً.

بل ان بعضهم ذهب اكثر من ذلك، فادعى ان الشاعر الأيطالي دانتي. عندما ألف «الكوميديا الألهية» كان متأثرا «برسالة الغفران» التي كتبها ابو العلاء. علماً ان موضوع كل من الرسالتين يختلف عن الآخر. فرسالة الغفران موضوعها الرئيس النقد الأدبي وما يتصل به من امور اخرى. فهي عبارة عن رحلة عبر العالم الآخر... بطلها صديق المعري المعروف بابن القارح كانت مهنته الأتصال بالشعراء والنقاد والأدباء والرواة واللغويين، ليحاورهم في امور تتعلق بالنقد، سواء اكان لغوياً او نحويا، او يتعرض خلالها الى المتحول من الأشعار والسرقات الشعرية. هذا ما تعرضت له «رسالة الغفران» وكان الحوار يقوم بين إبن القارح وبين الشعراء كامرىء القيس والنابغة وغيرهما، او بين الرواة.

اما موضوع الكوميديا الألهية للشاعر دانتي الليجيري فهو رحلة عبر السماء يقوم بها هذا الشاعر مع حبيبته «باتريس» التي احبها كل الحب، ولكن لم يفز بحبها لأنها تزوجت من غيره، ولكن سرعان ما تنتقل الى عالم الفناء. فيتصور هذا الشاعر نفسه مع حبيبته وهما يجولان اطراف الجنان متعجبين بعد ان فقدا هذا النعيم على الأرض. ويصف النار وما فيها من عذاب وآلام، كما يتعرض للسراط المستقيم.

ان الموضوعين مختلفان كل الاختلاف، الا في ناحية واحدة هي تلك الرحلة الخيالية الى العالم الآخر.

هذه هي كوميدية دانتي الآلهية... دانتي المولود في فلورنسا عام ١٢٦٥، والذي عاش طوال حياته مشردا من مرافقة حبيبته في (رافينا) عام ١٣٢١ فهل يلمس القارىء الكريم - بعد هذا العرض الموجز - ثمة علاقة بين الرسالتين..؟

انه الاعجاب بشاعرنا جعل بعظهم يتصور، ان عبقرية المعري قد فاضت وداعبت واخصبت عقولاً اخرى، كما تفيض مياه الأنهار على الأراضي المجاورة لها، لتخلع عليها الخصوبة والخير.

اما الفريق الثاني، فكان على عكس هؤلاء، الذين افتتنوا بقوة حُجته، وسمو شاعريته، فهم لم يلمسوا فيه شيئا من العبقرية، بل هو في نظرهم، لا يبدو ان يكون الا شاعراً عاديا، لم يتميز بشىء عن بقية

الشعراء، بل ان قسما من هؤلاء شك حتى في شاعرية الرجل، ففي رأي هؤلاء، ان المعري لا يبدو شيئا امام المتنبي او ابي تمام واضرابهما من فحول الشعراء وحجج هؤلاء كثيرة. ان المعري ابتعد عن مواضيع الشعر الأصيلة وهجرها، وراح يحوم في اجواء هي بعيدة كل البعد عن طبيعة الشعر وغاياته. بل ان الكلام حول الملائكة والجن واختلاف الأديان واليوم ا لآخر، هي مواضيع من اختصاص النثر، اما الشعر فبعيدٌ عنها كل البعد.

وإني اري غير ما يرى هؤلاء، اني ارى ان المعري كان في هذا الاتجاه مجدداً وثائراً، عندما اطرح عنه المواضيع الشعرية التقليدية، واستبدلها بمواضيع جديدة، انه الرائد الذي حرر الشاعر ان يفلت من قبضة تلك الدائـرة الضيقـة التي حبس بها نفسه. . . دائـرة الغـزل والـرثـاء والفخر. . . وغيرها من الأغراض التي عدت من المواضيع الحيوية في عالم الشعرفمن حاول الخروج من اطارها فكأنما قد كفر بالشعر واهدافه. لماذا عد ابو تمام مجدداً في عالم الشعر، عندما تجرأ وخرج عن القوالب المعروفة في الشعر العربي، انه انبرى يكثر من الصور الجديدة، مستعينا بالأساليب البلاغية، التي من شأنهاان تبعث في الشعر حيوية وقوة من خلال تلك المجازات التي تعلق بها ابو تمام تعلق الصب المستهام.

لماذا اعتبروه مبدعا عندما ابتعد في شعره عن تلك البدايات التي سار على غرارها الشعر العربي في جاهليته واسلامه. مبتدئاً بالغـزل او الوقوف على اطلال الأحبة، او غير ذلك. لماذا اعتبروه مبدعا ومجدداً، وانكروا على المعري التجديد لما بدل مواضيع الشعر، واخرجها غير المخرج اتي رسمت له من قبل؟.

انني لاعتبر ابا العلاء المعري على راس قائمة الشعرائ المجددين عندما قام بتحرير مواضيع الشعر التي كانت منحصرة في اغراض لاتتعداها فجعل افاق الشعر بعيدة المدى لاتقيدها مواضيع معينة فهي تتنـاول الغزل والحياة والسماء والملائكة والموت والعقائد وكل ما كان يحول في خواطر الناس من افكار ومفاهيم وعقائد فهام شاعرنا في تلك الافاق البعيدة ليصوغ من نجومها عقودا شعرية وغاص ال اعمـاق البحور النائية ليلتقط الدرر ليعمل منها وشاحا سيظل الشعر مُتشحاً به ومختالا

على غيره من المنظوم . ولا يعيبه انه خلال هذه الرحلة الفكريه الشاقة ان تصادفه بعض المطيات التي خلقت عنده بعض الشكوك والارتباكات التي كان عليه ان يتفاداها وهو بصدد تلك الرحلة الصعبة الخطرة ولكن اني له ان يفعل ذلك وقد اختار مركبا صعبا قل من الرجال من يختاره.
ولا يضيره في شيء انه كان يجنح الى الشك مرة والى السخرية اخرى واحيانا الى الثورة العارمة على بعض العقائد او بالاحرى على صاحبها الذي كان يتخذ ها وسيلة للتسلط والاثراء.
فالذي تحامنحى المعري وسلك طريقة الوعرة لابد ان يقع فيما وقع فيه صاحبنا.

وان روعه هذا الرجل تكمن انه عندما توجه بشعره الى مجالات الفكر والفلسفة والدين توجه اليها بزخم شاعري خصيب فهو لم يتطرق اليها حكيما ولاعالما ولاواعظا بل انفتح عليها شاعـرا محلقا في اجـواء من الخيال لم يصل اليها احد من قبله قد يقول البعض ان بعض الشعراء قد طرقوا هذه الابواب وهذا صحيح ان الكثيرين منهم قد تطرق لبعض مانتطرق اليه الية شاعرنا ولكنهم لم يوغلوا كما اوغل ولم يكثروا كما اكثر ولكن مثل هذه الاشعار كانت تلوح في دواوينهم بين اوقات متفاوته وهي لاتتجاوز عدد اصابع اليد ولكن شاعرنا كاد ان يوقف شعره على مثل هذه المواضع وخاصة في ديوانه «لزوم مالايلزم».
اذن نستطيع ان نقول ان المعري هو اول شاعر وسع في دائرة الاغراض الشعرية فبـدل ان يجعل هـذه الاغراض محصـورة في مواضـع معينة كالغزل والفخر والوصف . . . . الخ

نراه يضخم مساحة تلك الدائرة لتستوعب كل مجالات الفكر والدين والفلسفة مصاغة بأسلوب شعري مجنح وخلال عمله العظيم هذا نرى حاسديه والحاقدين عليه قد تربصوا له مسجلين عليه كل هفوة متهمين اياه بالمروق عن جادة الدين والانجراف وراء اوهام الفلسفة والعقائد المادية الاخرى التي دعت الى التقشف والزهد.

والمعري بريء من كل هذه الاتهمات فتصرفاته تلك أياً كانت تطبيقا لما اتخذه من منهج في حياته فهو عندما يزهد في الحياة لا لأنه متأثرٌ بفلسفة معنية وعقيدة غير العقيدة الاسلامية ولكنه ابتعد عن الحياة وملاذها لانه

كان يرى في الحياة ملذات أخرى وهو عندما يعرض عن اكل اللحوم انما يعرض عن احساس بانه لايسمح لنفسه ان يتمتع على حساب ايذاء اي حيوان يحس بالألم هذا هو المنطلق الذي انطلق منه شاعر المعرة نحو تطبيق فلسفته في الحياة.

اسمعه ينشد

اقلقتم السابح في لجه ورعتم في الجوذات الجناح

هذا وانتم عرضة للقنا فكيف لوخلدتم ياوقاح

ولكن حساده ومبغضيه اثاروها عليه حربا شعواء متهمين إياه بانه تنصل عن تعاليم الدين بالتنعم بالطيبات التي اباحها الله على عباده ورحم الله القبائل.

ومـن البـلـيـة عـذل مـن لايـرعـوى
عـن غـيـه وخـطاب مـن لايـفـهـم

ولو انصف الناس جكيم المعرة ودرسوه دراسة مجردة عن العـواطف والهوى لخرجوا باحكام صادقة عن عبقرية هذا الرجل الذي ترك دويا هائلا في عالم الاداب والنقد.

عاش صاحبنا في عصر مضطرب سياسيا وفكريا واجتماعيا ففي عهده انتقلت السلطة الى بني بوية الاعاجم فتفككت اوصال الدولة العربية بعد ان كانت وحدة متماسكةخاضعة مركزيا للخليفة العربي .

ولابد ان يعقب هذا التفكك السياسي انحـلال في القيم والاخلاق والعلاقات الشخصية والاجتماعية اما الفكر فقد مر في هذا الفترة في محنة لتأثرة بالافكار الوافده والفلسفات الـطارئه التي غـزت المجتمع العربي نتيجة لحركة الترجمة التي شجعها الخليفة المأمون وتابعه في ذلك من جاء بعده فراحت هذه المعارف الجديدة والفلسفات الوافده تتصارع مع الفكر العربي الاسلامي فانحاز فريق لثقافته الاصيلة يدافع عنها امام هذا الغزو الثقافي وراح فريق اخر ينحاز ويتعقب هذه المعـارف والعلوم الوافده.

ونشأ نتيجة لهذا الوضع ما يشبه الصراع بين ماهو اصيل متمكن في النفس ومستفر في العقل وبين ماهو طاريء جديد لم يأخذ مكانته بعد في

قلوب وعقول الناس .
فبدأت الشكوك تهيمن على بعض العقول وقد ظهر جليا ان طبقة المثقفين راحوا يراجعون ماستقر في نفوسهم وعقولهم من معارف وعلوم وعقائد .

وهذا ماحصل لشاعرنا فبعد ان القى نظرة فاحصة على معارف عصره وأحسَّ بتلك المفارقات والخلافات بين وجهات نظر الاديان والفلسفات ركبه الشك لفترة فراح يسخر من بعضها وينقد البعض الآخر بفكر ثابت ورأي حصيف اضافة لما تقدم ان المعري فقد بصره وهو في الثالثة من عمره وعاش في ظلمه دائمة هذه الحالة قد اثرت في نظرته للناس والحياة والاخلاق فراح ينظر اليها بمنظار الشك والظن ماذا صنع ليحرمه القدر اكبر نعمة انعمها على سائر المخلوقات وهي نعمة الابصار؟
لماذا لم يحرم الفُتاك والمجرمون من نعم الحياة ويُحرم منها هو دون ان يصدر منه اي اذى لاي مخلوق . . ؟
ومما زاد في ثورته فقرة والكفاف الذي كان عليه فقد كان لذلك تاثيره الكبير في شكة وثورته وسخريته .
واخيرا تخرج بالحكم التالي :
ان المعري رحمه الله كان ابن بيئته كان صادقا في شعوره عندما كان ينقل لنا صورا عن تلك البيئة التي كان يحياها كان صادقا لايريد التقرب من الحكام ولامالا من ذي مال ولاجاها من سلطان .
لذا جاءت اقواله وشعره ونثره خير سجل لعصره ومجتمعه فرحم الله حكيم المعرة واحسن اليه .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (   ) لسنة ١٩٨٨

المصادر

١- ديوان سقط الزند ابو العلاء المعري اشراف الدكتور طه حسين الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤

٢- ديوان لزوم مالايلزم : ابو العلاء المعري دار صادر دار بيروت

٣- على باب سجن ابي العلاء د. طه حسين

٤- تجديد ذكر ابي العلاء د. طه حسين. دار المعارف في بمصر طبعه ثانية ١٩٧٦

٥- ابو العلاء المعري ناقدا : وليد محمود خالص منشورات وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية ١٩٨٢

٦- رسائل ابي العلاء مع شرحها منشورات دار القاموس الحديث بيروت

٧- اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري د. منصور عبد الرحمن. مكتبة الانجلو مصرية القاهرة ١٩٧٧

٨- اثر كشف البصر على الصورة عند ابي العلاء المعري تأليف رسمية موسى السفطي مطبعة اسعد بغداد ١٩٦٨

٩- تاريخ النقد العربي د. محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر

١٠- النقد واللغة في رسالة الغفران د. امجد الطرابلس مطبعة لجامعة السورية دمشق ١٩٥١

١١- رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن دار المعارف مصر ١٩٧٣.

١٢- رسالة الصاهل والشاجح لابي العلاء المعري تحقيق د. عائشة عبد الرحمن دار المعارف مصر ١٩٧٣

١٣- المهرجان الالفي لابي العلاء المعري مطبوعات المجتمع العلمي العربي بدمشق مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٥

١٤- رسائل ابي العلاء المعري شرح وتحقيق د. عبد الكريم خليفة منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر عمان ١٩٧٦

١٥- شرح ديوان الحماسة للتبريزي مطبعة بولاق مصر ١٢٩٦هـ

١٦- الشعر والنغم د. رجاء عبيد دار الثقافة للطباة والنشر القاهرة ١٩٧٧.

١٧- الفصول والغايات لابي العلاء المعري تحقيق حمد حسن زناتي نشر الهيئة الصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧

صدر حديثاً

- شرح المعلقات السبع
- النابغه الذبياني
- حسان بن ثابت
- المتنبـي
- أمرىء القيس
- أبو العلا المعري
- أبو الطيب المتنبي حياته وشعره
- مجموعة جبران خليل جبران
- مجموعة مصطفى لطفي المنفلوطي
- حكم المتنبي الباهرة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١١٦٩ لسنة ١٩٨٨

مكتبة النهضة



بغداد - شارع المتنبي

هاتف ٤١٦٢٦٨٩

طبع الدار العربية بغداد